المحاضرة السادسة: المنهج أو نظرية المعرفة عند كانط .

إيمانويل كانط: فيلسوف ألماني من فلاسفة نهاية القرن الثامن عشر ويمكنك أن ترجع إلى الكتب لتعلم تاريخه فليس مقصدنا هنا أن نؤرخ لأحد بل مقصدنا هو شرح أفكاره ومذهبه وهو يزعم انه اكتشف علما جديدا اسمه علم النقد فإن قيل له وما علم النقد فإنه يقول هو العلم الذي نثبت فيه إمكان المعرفة قبل المعرفة أو إمكان العلم قبل أن نبحث في العلم فقبل أن نبحث في الرياضيات مثلا فيجب أن نعلم هل الرياضيات ممكنة أم لا وقبل أن نبحث في علم الطبيعة يجب أن ننظر هل علم الطبيعة ممكن أو غير ممكن فإن قيل له وكيف نعرف إن كان علم ما ممكن او غير ممكن فإنه يقول ننظر أولا في الإنسان كيف يحس وكيف يعقل ثم بعد معرفة هذه الكيفية ننظر لما يمكن أن يعلمه الإنسان ومالا يمكن أن يعلمه فمعرفتك بما يمكن أن نعلمه ومالا يمكن أن نعلمه تقوم على معرفة كيف نحس وكيف نعقل.

كيف نحس؟

يقول كانط ان هناك شئ خارجي أي خارج الحواس يؤثر على حواسنا فندرك صور وأصوات وروائح وطعوم وملامس فهذه المدركات هي في حواسنا وليست في الخارج وإنما الموجود في الخارج هو سبب انتعاش هذه المدركات الحسية في حواسنا فنحن ندرك أثر هذا السبب في حواسنا ولا ندركه هو في ذاته وما عليه في ذاته ويعبر كانط عن ذلك بأننا ندرك ظاهر الشئ ولا ندرك الشئ في ذاته وهو يقصد بظاهره أي أثره في حواسنا فنحن ندرك الأثر ولا ندرك المؤثر ولا نعلم كيف يكون الشئ في ذاته لأننا دائما ندرك أثره في حواسنا ولا ندركه هو في ذاته وما عليه في ذاته فلا ندري كيف هو وما هو.

كيف نعقل؟

أما كيف نعقل فيقول كانط أن العقل يأتي بتصورات عقلية من عنده يعبر عنها بمصطلح هو مقولات ثم يقوم العقل بتطبيق هذه المقولات على المحسوسات فيضع عدة محسوسات تحت تصور واحد أو مقولة واحدة مثل الكيف والكم والجوهر والعرض ويربط بين محسوسين برابطة هي السببية فلا سببية بين المحسوسات ولكن العقل هو الذي يربط بينها برابطة السببية أي يطبق عليها مفهومه عن السببية بينما لا توجد سببية بين المحسوسات ولا في الشئ في ذاته الموجود في الخارج بل السببية هي مفهوم عقلي يطبق على المحسوسات ولكنه لا ينطبق على الشئ في ذاته في الخارج وكذلك ليس هناك جواهر ولا أعراض ولا كيفيات ولا كميات في المحسوسات ولا في الشئ في ذاته في الخارج ولكن العقل هو الذي يطبق هذه المفاهيم على المحسوسات وعلى الشئ في ذاته في الخارج ولكن العقل أخطأ لأنه يطبق هذه التصوات اوالمقولات او المفاهيم على الشئ في ذاته لأن هذه المقولات او التصورات او المفاهيم لا تنطبق على الشئ في ذاته بل تنطبق فقط على المحسوسات

قاعـــــــــدة:

بعد ان اظهر كانط كيف نحس وكيف نعقل فإنه استنبط قاعدة عن ما يمكن معرفته ومالا يمكن معرفته بالعقل وذلك لأن معرفة الشئ في ذاته محالة بالعقل لأن مقولات العقل ومفهوماته وتصوراته التي أتى بها من عنده لا تنطبق على عالم الشئ في ذاته بل هي تنطبق فقط على عالم المحسوسات ويطلق عليه كانط إسم عالم التجربة وبالتالي فإن علم ما بعد الطبيعة محال من جهة العقل فلا يمكن إثبات وجود علة قديمة للعالم ولا يمكن نفي ذلك ولا يمكن إثبات أن كان الموت عدم محض أم هناك حياة بعد الموت وألم ولذة لأن هذه المعارف محالة من جهة العقل وهذه هي القاعدة التي يتخذها كانط لنقد العلوم.

تناقض العقل:

يقول كانط بأن العقل يناقض نفسه إن تفكر في موضوعات علم ما بعد الطبيعة وذلك لأنه يفارق عالم التجربة الى عالم الشئ في ذاته ويطبق مفهوم السببية على أشياء لا ينطبق عليها مفهوم السببية وبالتالي يقع في التناقض فيثبت وينفي في نفس الوقت لأنه تجاوز حدوده ولذلك فهو يقع حتما في التناقض ولكي يثبت كانط هذه الفكرة فإنه أورد ما يسميه متناقضات العقل الأربع وهي عبارة عن أربع قضايا يتعهد كانط بأن يأتي ببرهان صحيح على صحة القضية ونقيضها في نفس الوقت ويتعهد بأن يكون كلا البرهانين صحيح وأن العقل يناقض نفسه أي يثبت القضية وينفيها لأنه تجاوز حدوده وطبق مقولاته على أشياء لا تنطبق عليها مقولاته ومثال هذه المتناقضات إثبات وجود علة قديمة للعالم فيثبت وجود علة قديمة للعالم ببرهان ثم يثبت عدم وجود علة قديمة للعالم ببرهان ويزعم أن كلا البرهانين صحيح وكذلك قضية أخرى وهي أن الجسم يتركب من أجزاء لا تتجزأ متناهية ثم يثبت أن الأجسام تتركب من أجزاء لا تتجزأ لا متناهية وهكذا يثبت كانط القضية ونقيضها حتى يثبت فكرته أن العقل يناقض نفسه إذا فارق عالم التجربة وتفكر في عالم الشئ في ذاته

العقل العملي:

ما سبق هو مذهب كانط عن المعرفة النظرية وإمكانها ثم تكلم عن المعرفة العملية اي معرفة خير وشر وفيه يبني الافعال الخيرة التي يقوم بها الإنسان على قاعدة الاستحسان والاستقباح التي صرحت بها المعتزلة فبعد ان قال في كتاب نقد العقل الخالص ان معرفة وجود الله او عدمه محالة من جهة العقل وكذلك معرفة وجود جنة ونار وثواب وعقاب اخروي كل ذلك محال ان نعلمه من جهة العقل فإنه قام في كتاب نقد العقل العملي ببناء السلوك العملي على ان الفعل الذي يقوم به الإنسان ينقسم إلى فعل معلل وفعل لا معلل اي فعل معلل بفائدة ونفع يترتب عليه وفعل لا يترتب عليه لا نفع ولا فائدة وإنما نحن نقوم به لأن العقل يوجبه لأنه فعل جميل وهي نفس قاعدة الاستحسان والاستقباح عند المعتزلة وسوف تدرك ذلك أن كنت من أهل المعاني والفهم لا من عبيد الألفاظ والمصطلحات

وكانط هنا يقصد أنه ليس من الضروري أن نؤمن بوجود إله أو باليوم الآخر والجنة والنار حتى نقوم بأعمال الخير بل إن العقل هو الذي يوجب اعمال الخير وقد ضرب أمثلة هي نفسها الأمثلة التي ضربها المعتزلة من قبل مثل حسن شكر المنعم وإنقاذ الغرقي وإطعام الفقراء والعطف على اليتيم وكفالته فنحن عندما نرى غريقا مشرف على الموت نهب لإنقاذه

من الغرق ولا نطلب نفع ولا فائدة من هذا الفعل بل نقوم بهذا الفعل لأن العقل يوجبه لأنه فعل جميل في ذاته وهذه هي الفكرة التي يقوم عليها كتاب نقد العقل العملي.